هوامش

بعد بيعها بمبلغ 26 مليون دولار، تحاول فرنسا استعادة لوحة سلة الفراولة لجان سيميون شاردان، بعدما اشتراها تاجر أميركي لمتحف كيمبل للفنون في ولاية تكساس

اللوحة لحظة عرضها في المزاد (فرانس برس)

سلة الفراولة

كيف أشعلت لوحة حرباً أميركية ـ فرنسية؟

ريم ياسر

سلة الفراولة البرية، لوحة صغيرة مرسومة على القماش، يتخطى عرضها نصف المتر بقليل، وتصور سلة من الخوص مليئة بثمار الفراولة، وإلى جوارها كوب من الماء ووردتين بيضاوين. هو تكوين جذاب يتميز بالانتقالات الناعمة بين الظل والنور مثل معظم أعمال فنان القرن الثامن عشر جان سيميون شاردان (1699 – 1779)، المعروف برسومه البديعة للطبيعة الصامتة، وتصوير الحياة اليومية في المنزل. رسم جان سيميون شاردان سلة الفراولة البرية عام 1760، وعرضها في صالون باريس في العام نفسه، وهي واحدة من مجموعة لوحات رسمها الفنان عن الفواكه. هذه اللوحة الصغيرة بيعت أخيراً مقابل مبلغ يتخطى ستة وعشرين مليون دولار أميركي، وهو أكبر مبلغ يُدفع على الإطلاق مقابل عمل فني من القرن الثامن عشر في فرنسا، بحسب تصريح مسؤولي صالة المزادات الباريسية التي جرت بها عملية البيع. يتجاوز هذا المبلغ الذي بيعت به اللوحة، القيمة التقديرية لهذا العمل بحوالى عشرة ملايين دولار، إذ قُدرت قيمتها الفعلية قبل إجراء المزاد بنحو 16 مليون دولار. أما سبب رفع سعر هذه اللوحة، فكان اشتعال المنافسة عليها من قبل بعض الأطراف الفرنسية والأميركية. انتصر الطرف الأميركي في النهاية بعدما فاز باللوحة تاجر أعمال فنية أميركي مجهول. وأعلن هذا الأخير لاحقاً أنه اشترى هذا العمل لمتحف كيمبل للفنون في ولاية تكساس، ويعني هذا أن اللوحة ستُغادر فرنسا إلى الولايات المتحدة.

ما إن أُعلنَت الجهة التي ستنتقل إليها اللوحة، حتى بدأت المعركة التنافسية التي لم تنتهِ وقائعها حتى اللحظة. سارع مدير متحف اللوفر، لورانس دي كار، إلى تقديم طلب إلى الحكومة الفرنسية، باعتبار اللوحة كنزاً وطنياً، وهو إجراء قانوني تتخذه السلطات الفرنسية للحفاظ على الأعمال الفنية والقطع الأثرية النادرة من التسرب خارج حدود فرنسا. وبالفعل، أصدرت السلطات الفرنسية مرسوماً باعتبار اللوحة كنزاً وطنياً، مع مهلة عامين حتى يتسنى لأحد المتاحف الوطنية شراء العمل وضمه إلى مجموعته. ينتهي أثر هذا المرسوم بانتهاء المهلة التي يحددها القانون، ويمكن بعدها مغادرة اللوحة خارج البلاد.

منذ إصدار هذا المرسوم ومتحف اللوفر في سباق مع الزمن لجمع الأموال اللازمة لشراء العمل الفني الذي وصفه لورانس دي كار، مدير المتحف، بالأهم في تاريخ سيميون شاردان. يضم متحف اللوفر بالفعل أكثر من أربعين عملاً لشاردان، ويأمل مدير اللوفر، كما يقول، أن تُكمل سلة الفراولة هذه المجموعة الفريدة التي بحوزة المتحف.

من أجل تحقيق هذا الهدف، أطلق متحف اللوفر حملة كبيرة لجمع المبلغ المخصص لشراء اللوحة، ونجح في ذلك إلى حد كبير، بعد أن تبرعت إحدى مؤسسات الأزياء الشهيرة بستة عشر مليون دولار. بدا واضحاً أن الحكومة الفرنسية، ومعها إدارة متحف اللوفر، تتعامل مع لوحة سلة الفراولة كقضية تمسّ الكرامة الوطنية. لهذا، لم تكتفِ إدارة المتحف بمخاطبة الرعاة المعتادين لمتحف اللوفر فقط، بل وسّعت أيضاً دائرة التبرعات بإطلاق حملة شعبية من أجل جمع ما بقي من ثمن اللوحة. يقدّم المتحف إلى المتبرعين، نظير إسهاماتهم، امتيازات مختلفة، بدءاً من الجولات الخاصة لمشاهدة اللوحة، وحتى الدعوات لحضور حفل كوكتيل في المتحف. في المُقابل، لا يُنكر إريك لي، مدير متحف كيمبل للفنون، أهمية سلة الفراولة لفرنسا، غير أنه صرّح أكثر من مرة بأنه يأمل أن يحصل على اللوحة، بصرف النظر عن هذه الحساسية التي تمثلها. صرّح مدير المتحف الأميركي أيضاً بأن اللوحة يمكن أن تكون بمثابة سفير للثقافة الفرنسية في الولايات المتحدة، وأنها ستحظى بالرعاية والتقدير اللازمين.

في ضوء هذه المنافسة، يبدو أن الحوار الدائر حول لوحة شاردان قد امتدّ إلى ما هو أبعد من الجوانب القانونية، ويلامس الدور الأوسع للفن في تعزيز التبادل الثقافي والحوار بين المجتمعات. وبغضّ النظر عن النتيجة، تعكس هذه المنافسة المحتدمة على اللوحة القيمة المؤكدة للفن، باعتباره جزءاً من الهوية الوطنية، وتسلط الضوء على المعارك المحتدمة، وغير المعلنة أحياناً، بين المؤسسات الفنية في الغرب، من أجل تنويع مصادر مجموعاتها الفنية.

باختصار

رسم جان سيميون شاردان سلة الفراولة البرية عام 1760 وعرضها في صالون باريس في العام نفسه، وهي واحدة من مجموعة لوحات رسمها الفنان عن الفواكه

■■■

بيعت اللوحة مقابل مبلغ يتخطى 26 مليون دولار أميركي، وهو أكبر مبلغ يُدفع على الإطلاق مقابل عمل فني من القرن الثامن عشر في فرنسا

■■■

أطلق متحف اللوفر حملة كبيرة لجمع المبلغ المخصص لشراء اللوحة، ونجح في ذلك إلى حد كبير، بعد أن تبرعت إحدى مؤسسات الأزياء الشهيرة بستة عشر مليون دولار

وأخيراً

لا يوجد عمرٌ نخجل منه

محمود الرحبي

يثير، في أحيان كثيرة، ظهور بعض الوجوه التي ألفناها بصورة جميلة نضرة، ولكن حين تظهر بعد غياب سنين طويلة (قد تمتد إلى عقدين وأكثر) عن الأعين، ثم نرى أفعال الزمن بها وما أحدثته السنوات من تغييرٍ ملفتٍ في طلّاتها وانهزام نضارتها، يصاب الجمهور بما يشبه الصدمة، وتنتابه ردودُ أفعال متفاوتة، يعبّر مجملها عن ما يشي باستنكاره لظهور النجم أو الفنان في هذا الوقت، وبهذه السحنة التي غزتها الشيخوخة. ويحدث أن تأتي تعبيرات الدهشة في دفعات جماهيرية مكثفة تكون الشغل الشاغل لوسائل الميديا، كما حصل مع الفنانة ميرفت أمين، وكذلك مع سميرة توفيق ونجلاء فتحي وأخريات وآخرين. حدث الأمر نفسه، حين رأينا صورة الفنان الراحل محمود ياسين قبل وفاته، وكان قد حدث مع شارلي شابلن، حين ظهر في صورة المقعد في أواخر حياته، ومع النجم العالمي مارلون براندو في آخر أدواره في فيلم الهدف (The Score)، حيث بدا واضح السّمنة، وبالكاد يستطيع التحرّك من مكان إلى آخر، حين ظهر في الفقرات القليلة للفيلم جالسا أو نائما. السؤال الذي يتبادر في مثل هذه الظروف، هل ثمة عمرٌ نخجل منه وآخر نتباهى به؟ لا أظن، فلكل عمر من أعمار الإنسان نكهته وطبيعته، كما له أفراحه وأحزانه. وبالنسبة للنساء والرجال المشاهير على حد سواء، لم تعد فتنة الجسد والإغراء تعنيهم في أواخر أعمارهم، قياساً بأعمارهم في أوقات الشباب والصبا، بل العكس صحيح، لأنهم ربما تخلّصوا من هذا العبء مع تقدّم السنوات، وشعروا بأن عليهم أن يظهروا بالصورة الجديدة ويتحملوا الردود والصدمات التي لا تخصهم بقدر ما تخص الجمهور الذي احتفظ في ذهنه بالصورة القديمة عنهم. كما حدث مثلا حين ظهرت أيقونة الغناء العربي فيروز بعد انقطاع عن الظهور وهي في عمر الثمانين ونيف، ما أثار تساؤلات عن الدواعي لظهورها في هذا العمر، ثم فاجأت جمهورها حين أصدرت ألبوما غنائيا بتلحين ابنها زياد، فانبرت المقارنات بين صوتها في أيام العزّ وصوتها بعد الثمانين. وكأن الفنان يجب عليه أن يتجمّد في زمن معين، ليس فقط صورة وطلّة، إنما أيضا كصوت، فنانا مطربا كان أو أداء إن كان فنانا ممثلا. وكأن النجم ليس من حقه الظهور بعد اعتزاله، أو كأن رأسماله المتمثل في الشباب واللياقة والجمال والفتوة رصيده الوحيد، إن نضب الجمال والحسن عليه، أن يتوارى حتى يتوفاه الله وتأتي ساعته وهو محتفظ في الأذهان بتلك الصورة القديمة الحسنة والنضرة عنه. في حين نجد العديد من الفنانين لا يهتمون بهذا الأمر، فتراهم موجودين في كل الأعمار أمام الشاشات والجمهور، كما حدث مع صباح، التي ظلت تُجري اللقاءات وتبثّ التصريحات حتى آخر عمرها، حتى ظنّ بعضهم أنها أصيبت بالخرَف وهي تصرح بأمور بدت غريبة، من قبيل طلبها أن تزفّ إلى القبر بمعية فرقة موسيقية. نجد أيضا من الفنانين الذين لم يهزمهم الزمن ويقوّسهم مظهرا ومخبرا. الفنان الراحل فريد شوقي الذي ظل يحمل في هيئته وجسمه لقب وحش الشاشة حتى من دون أن ينطق بذلك، فمن يرى صوره في أواخر أيامه سيلمح إصراره الجسماني على أن تظل هيئته في الأذهان كما كانت في أيام شبابه، ولكن ليس عبر التواري عن الأنظار، إنما العكس، عبر الظهور المستمر، ونستطيع أن نقول إنه ظلّ يؤدي أدواره على الشاشة حتى قبيل وفاته في عمر 77 عاما. وقد أدى أفلاما مهمة في السينما المصرية في أواخر سنوات حياته، مثل «قلب الليل» من إخراج عاطف الطيب، وكان آخر أفلامه قبل عامين من رحيله، وهو «الرجل الشرس» من إخراج ياسين إسماعيل ياسين عام 1996، حيث رحل فريد شوقي عام 1998، وبذلك امتد نشاطه الفني منذ الأربعينيات حتى أواخر التسعينيات، ما يعدّ الأطول تجربة في تاريخ السينما العربية.

> لم تعد فتنة الجسد والإغراء تعني الرجال والنساء المشاهير في أواخر أعمارهم، قياساً بأعمارهم في أوقات الشباب والصبا

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**